

تفسير أبي السعود

9 - سورة براءة الآية 13 وأما التصريح بالياء فلحن ظاهر عند الفراء .

إنهم لا إيمان لهم أي على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وإن أجروها على ألسنتهم وإنما علق النفي بها كالنكت فيما سلف لا بالعهد المؤكد بها لأنها العمدة في المواثيق وجعل الجملة تعليلا للأمر بالقتال لا يساعده تعليقه بالنكت والظعن لأن حالهم في أن لا إيمان لهم حقيقة بعد النكت والظعن كحالهم قبل ذلك وحمله على معنى عدم بقاء إيمانهم بعد النكت والظعن مع أنه لا حاجة إلى بيانه خلاف الظاهر ولعل الأولى جعلها تعليلا لمضمون الشرط كأنه قيل وإن نكثوا وطمعوا كما هو المتوقع منهم إذ لا إيمان لهم حقيقة حتى لا ينكثوها أو لاستمرار القتال المأمور به المستفاد من سياق الكلام كأنه قيل فقاتلوهم إلى أن يؤمنوا إنهم لا إيمان لهم حتى يعقد معهم عهد آخر وقرئ بكسر الهمزة على أنه مصدر بمعنى إعطاء الأمان أي لا سبيل إلى أن تعطوهم أمانا بعد ذلك أبدا وأما العكس كما قيل فلا وجه له لإشعاره بأن معاهدتهم معنا على طريقة أن يكون إعطاء الأمان من قبلهم وذلك بين البطلان أو بمعنى الإسلام ففي كونه تعليلا للأمر بالقتال إشكال بل استحالة لأنه إن حمل على انتفاء الإسلام مطلقا فهو بمعزل عن العلية للقتال أو للأمر به كما قيل النكت والظعن وإن حمل على انتفائه فيما سيأتي فلا يلائم جعل الانتفاء غاية للقتال فيما سيجئ فالوجه أن يجعل تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط كأنه قيل إن نكثوا وطمعوا وهو الظاهر من حالهم لأنه لا إسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض جنس إيمانهم وعن الظعن في دينكم .

لعلمهم ينتهون متعلق بقوله تعالى فقاتلوا أي قاتلوهم إرادة أن ينتهوا أي ليكن غرضكم من القتال انتفاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم التي يرتكبونها لا إيصال الأذية بهم كما هو دين المؤمنين .

ألا تقاتلون الهمزة الداخلة على انتفاء مقاتلتهم للإنكار والتوبيخ تدل على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الإقرار بانتفائها كأنه أمر لا يمكن أن يعترف به طائعا لكمال شناعته فيلجئون إلى ذلك ولا يقدر على الإقرار به فيختارون المقاتلة .

قوما نكثوا إيمانهم التي حلفوها عند المعاهدة على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خراة .

وهما بإخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في أمره بدار الندوة حسيما ذكر في قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا فيكون نعيانهم جنايتهم القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهما بإخراجه من المدينة .

وهم بدءوكم بالمعاداة والمقاتلة .

أول مرة لأن رسول الله ﷺ جاءهم أولاً بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها إلى المقاتلة أو بدءوا بقتال خزاعة حلفاء النبي لأن إعانة بني بكر عليهم قتال معهم .

أتخشونهم أي أتخشون أن ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم وبخهم أو لا بترك مقاتلتهم ورضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها ويحقق أن من كان على تلك الصفات السيئة حقيق بأن لا تترك مصادمته ويوبخ من فرط فيها .

فإن أحق أن تخشوه